الفصل الخامس

الجنون.. في الحياة

وصمة ...اسمها " الجنون":

يتجه العامة في الثقافات العربية المحلية إلي استخدام لفظ "الجنون " كوصف للمرض العقلي رغم أن هذا المصطلح ليس له أي دلالة علمية . كما يطلق علي مرضي النفس عادة "المجانين " ويشكل هذا الوصف في حد ذاته وصمة هائلة للمريض وتمتد آثارها في إلي أقاربه وكل أهله، كما أن إطلاق أوصاف أخرى مثل "مستشفى المجانين" كوصف للمستشفيات النفسية، أو "دكتور المجانين رغم أن الجنون (*Madness*) ليس سوى كلمة دارجة.

و لا احد ينكر ان اى شخص منا مهما كانت درجة تعليمه او مكانته او موقعه علي السلم الاجتماعي يمكن ان ينتابه في وقت من الأوقات ونتيجة لأى ظرف خاص بعض الأضطراب الذى يؤثر في حالته النفسية ومزاجه ويتأثر تبعاً لذلك أداؤه لعمله ونمط حياته بطريقة أو بأخرى . إن ذلك علامة علي الاضطراب النفسي الذى يمكن أن يصيب اى شخص مهما كانت قوة احتماله ، لكن الناس يتفاوتون فيما بينهم في تفاعلهم مع الاضطراب النفسي ومع ضغوط الحياة تبعا لتكوينهم النفسي وطبيعة شخصيتهم . ما نريد تأكيده هنا هو ان المريض النفسي في حالة الجنون ليس شخصا مختلفا عنا بل هو آي واحد منا تعرض لظرف يفوق

طاقة الاحتمال المعتادة. او لأنه بحكم تكوينه شخص مرهف الحس لم يستطع احتمال ضغوط الحياة فظهرت عليه علامات الاضطراب النفسي . وفي كل هذه الحالات فإن الأمر لا يتطلب هذه النظرة السلبية من المحيطين به بل يجب مساندته حتي تمر هذه الأزمة بسلام دون خسائر كبيرة من جراء الاضطراب النفسي

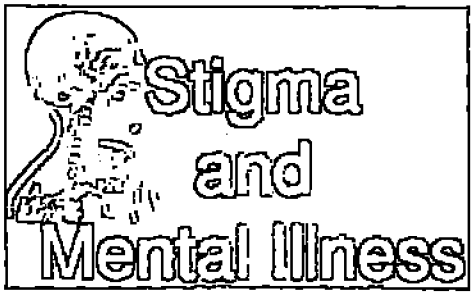

الحاجز النفسي :

هناك حاجز نفسي قائم بين الناس في المجتمع بصفة عامة وبين مرضي الصدور .. بل يمتد ليشمل كل ما يتعلق بهم من العيادات والمستشفيات النفسية وحتي الأطباء النفسيين . وكل ما يتعلق بالطب النفسي بصفة عامة . ويسهم هذا الحاجز النفسي في ايجاد اتجاه سلبي نحو الطب النفسي يسبب عزوف الناس وترددهم في التعامل مع الجهات التي تقدم الخدمات النفسية . ويمكن لنا ملاحظة ذلك بوضوح من خلال عملنا بالطب النفسي حيث يحاول المريض واهله الابتعاد عن العيادات والمستشفيات والمعالجين الشعبيين حتي تتفاقم الحالة ولا يصبح هناك لبد من استشارة الطبيب النفسي فعند ذلك فقط يحضرون رغماً الي العيادات النفسية .

والغريب ان الحاجز النفسي الذى تحدثنا عنه بين الناس والطب النفسي لا يقتصر وجوده علي عامة الناس بل يمتد ايضا ليشمل فئات يفترض ان تكون اكثر فهما لدور الطب النفسي في علاج الأمراض النفسية بالطرق الحديثة . فقد اثبتت دراسات علي طلبة كليات الطب انهم لا يفضلون التخصص في هذا المجال بل وينظرون اليه علي انه اقل شأناً من تخصصات الطب الاخرى كالجراحة والطب الباطني وطب الأطفال . ليس ذلك فحسب بل إن الاطباء من تخصصات الطب المختلفة كثيراً ما يكون لديهم فكرة خاطئة وغير دقيقة عن مجال الطب النفسي مما يدفعهم الي عدم التعاون مع الأطباء النفسيين وعدم فهم اسباب تشخيص وعلاج المرضي النفسيين بل إن بعض الأطباء من تخصصات الطب الاخرى كثيراً ما يتجنبون التعامل مع أي مريض نفسي حيث يعتقد البعض منهم ان مرضي النفس هم مصدر خطر محقق علي كل من يقترب منهم . وهذه النظرة تفتقد الي الموضوعية بدليل أننا كأطباء نفسيين نتعامل مع كل حالات الاضطرابات النفسية والعقلية بسلاسة بالغة في كل الحالات .

وصمة .. أسمها " الجنون " !! :-

كثيراً ما يعبر المرضي النفسيون عن عدم ارتياحهم لمجرد زيارة الطبيب النفسي . وينسحب ذلك علي المرضي الذين تضطرهم حالتهم المرضية لزيارة العيادات الخاصة او مستشفيات الطب النفسي . إننا نلمس قلق المريض حين نجده يخشي ان يراه احد معارفه اوأقاربه او جيرانه وهو في هذا المكان . ان معني ذلك ان وصمة المرض العقلي او " الجنون " سوف تلحق به ويصعب عليه فيما بعد

مهما فعل ان يصحح المفهوم الذى تكون لدى الناس عنه . ويزيد الأمر تعقيدا اذا كانت المريضة فتاة فمعني ذلك ان هذه الوصمة سوف تهدد مستقبلها ، فمن من الشباب سيقدم علي الزواج منها حين يعلم انها ترددت او قامت بزيارة الطبيب النفس ولو لمرة واحدة !

ولا شك ان مفهوم الوصمة ليس حكرا علي مجتمع بعينه او انها مشكلة محلية بل إن الارتباط بين الطب النفسي وهذا المفهوم السلبي موجود حتي في المجتمعات الغربية المتقدمة ولو بدرجة أقل ، إنني اتفهم تماما ما يطلبه بعض المرضي حين يطلبون الاستشارة في موضوع نفسي لكنهم يصرون علي عدم وضع اسمائهم في اى سجل رسمي او فتح ملف لهم ويعتبرون ذلك مشكلة هائلة قد تهدد حياتهم فيما بعد .

والطريف ان بعض المواقف المتناقضة تحدث للطبيب النفسي حين يلتقي مع مريض له مصادفة في الشارع او السوق او في مكان عام ، ومن خلال ملاحظتي الشخصية فإن المرضي قد يتصرفون باحدى طريقتين . فمنهم من لديه شجاعة لتوم تحية وقد يسلم عليه بحرارة وهذا يتطلب شجاعة كبيرة من جانب المريض لأنه بذلك يعلم تماماً حين يلتقي به في أي مكان بل قد يشيح بوجهه وكأنما يريد ان يطرد عنه شبحاً مخيفاً يذكره بحالة المرض التي تعتبر اشد حالات الضعف الإنساني . إن هذه المواقف هي من خصوصيات الطب النفسي ولا تنطبق علي الأطباء من أي تخصص آخر !

الجنون.. في الثقافة العربية:

لعل أحد الموضوعات الهامة المتعلقة بالصحة النفسية هي مسألة علاقة الثقافة بالتباين في الحالات النفسية . ونظراً لأهمية وحساسية هذا الموضوع في ثقافتنا العربية . فقد رأينا أن نحاول هنا طرح جوانب هذا الموضوع للمناقشة أملا في أن يسهم ذلك في توضيح أبعاده وإلقاء الضوء علي هذه المسألة الهامة التي تتعلق مباشرة بمهنة الطب النفس والصحة النفسية والاجتماعية للإنسان في العالم العربي .

ورغم وجود بعض الأدبيات في الطب النفسي وعلم النفس فيما يختص بالوصمة المرتبطة بالإصابة بالمرض النفسي لدي المرضي العقليين ودويهم وأقاربهم والاتجاه السلبي لدي العامة نحو المرض النفسي ،فأن هذا الموضوع لم يحط حتى الآن بالقدر المناسب من الاهتمام في الثقافة العربية أو الطرح الملائم للمشكلة من جانب المتخصصين في المهن النفسية والأوساط العامة لاتخاذ خطوات لمواجهة الآثار المترتبة علي تضخم فكرة الوصمة واستقرارها في الأذهان وما يترتب علي ذلك من سلبيات يعاني منها المرضي النفسيون والمحيطون بهم ومن يقومون بتقديم الرعاية لهم ،وسوف نوضح فيما بعد، عند مناقشتنا للوصمة المرتبطة بالأمراض النفسية ، بعضاً من هذه الجوانب.

وتعني الوصمة *(Stigma)* لغوياً وجود علامة تتضمن الإساءة إلي من يحملها أوهي دلالة علي الارتباط بشيء يدعو للخجل المعنى. وهذا هو نص التعريف الذي أوردته بعض المعاجم اللغوية

Stigma: burnt sign on a slave or mark of sham

وحين نصف شخصاً ما بشيء مخجل معيب فإننا في هذه الحالة نلصق به الوصمة اى نصمه (*Stigmatize*) . ويكاد يكون انتشار ظاهرة وصمة المرض النفسي عاماً في مختلف ثقافات الشرق والغرب .ولا يمكن وضع تقدير كمي لقياس وجود الوصمة في مجتمع ما. غير أن الدلائل يمكن أن تعطي انطباعا بحجم وتأثير الوصمة في المجتمعات العربية من خلال الملاحظة والممارسة . وهنا نؤكد بناء على دراسات مختلفة وجود الوصمة في المجتمعات العربية نحو المرضي النفسيين والعلاج النفسي والعبادات والمصحات العقلية كما يؤكد ذلك دراسات متعددة.

وحين نلقي نظرة عامة على موضوع وصمة المرض النفسي في البيئة العربية فإننا نجد من المناسب أن نأخذ في الاعتبار الخلفية الثقافية والاجتماعية التي تؤثر في المفاهيم والاتجاهات والأفكار التي يتبناها الأفراد في المجتمع نحو العلاج النفسي بصفة عامة ونحو الأمراض النفسية ومعتقداتهم عن أسبابها والوسائل التي يستخدمونها للعلاج . والواقع أن كلمة (*Culture*)(وهي اشتقاق من *Cult* وتعني الجماعة) والتي يتم ترجمتها على أنها "الثقافة" هي مصطلح بمعنى أشمل يدل على وجود أنماط سلوكية، وقيم وعادات ،وأفكار لها عمق تاريخي، وخصائص تشترك فيها مجموعات من الناس وتنتقل عبر الأجيال - في وجود مجتمع - ويتم تعلمها مع الوقت حيث تنتقل رموزها لتتكون المعالم المتكاملة لهذه الثقافة . ويؤثر في تكوين الخلفية الثقافية (*Cultural background*) عوامل مختلفة مثل اللغة، والدين، والتراث، والخبرات المتراكمة على مدى طويل،وكل مايهمنا من ذلك هو وجود العلاقة بين الثقافة وبين الاضطرابات النفسية والظواهر المرتبطة بها مثل ظاهرة وصمة المرض النفسي .

وفيما يلي استعراض الدراسات التي تتعلق بمسألة وصمة المرض النفسي في البيئة العربية :

- تشيع في الثقافة العربية، مثل بعض ثقافات بلدان العالم الثالث الكثير من المعتقدات حول الأمراض النفسية وارتباطها بالقوي الخفية كالأرواح والسحر والحسد، وتدفع هذه المعتقدات إلي الاتجاه إلي تبني أفكار غير صحيحة حول الأمراض النفسية واللجوء إلي أساليب خاصة للعلاج بعيدا عن الوسائل الطبية، وهناك علاقة وثيقة بين الخلفية الثقافية والدينية وبين الأساليب التي يلجأ إليها العامة لعلاج الأمراض النفسية من خلال مفهومهم عن المرض النفسي، وقد يكون الطب الشعبي أو وسائل الشعوذة هي الاختيار الأول للمرضى وذويهم حيث لا يتضمن ذلك شعوراً بالوصمة بينما ينطوي التعامل مع الطب النفسي علي وصمة في نظرهم .
- في دراسة للاتجاهات والأفكار التي يتبناها الأطباء الممارسون نحو الطب النفسي، كان استجابتهم تؤكد فكرة الوصمة المتعلقة بالطب النفسي عموما وكذلك بالمرضى النفسيين، وأظهرت النتائج اتجاهات سلبية أمكن تعديلها بعد دورة دراسية داخل أحد المستشفيات النفسية حيث كان هناك تعامل مباشر بين هؤلاء الأطباء والمرضي النفسيين وتم تقديم معلومات مكثفة لهم حول طبيعة الأمراض النفسية وتخصص الطب النفسي.
- أكدت دراسة أجريت في دول عربية حول المفاهيم المتعلقة بالمرض النفسي ظاهرة الوصمة لدي عينة من الجمهور وكذلك طلاب قسم علم النفس بالجامعة وكان واضحاً من النتائج قصور المعلومات المتوفرة لدي أفراد العينة حول الأمراض النفسية وقصورهم عن أسبابها وطرق علاجها.

- في بحث حول أثر العوامل الثقافية والاجتماعية على الأمراض النفسية في البيئة العربية ورد ذكر لمسألة الوصمة كإحدى الظواهر المميزة في الثقافة العربية، كما تم التركيز على آثار الوصمة واستنتاج أنها تظهر في البيئة العربية بصورة أكبر مقارنة بالنموذج الغربي .
- وفي دراسة على عينة من المرضى النفسيين الذين يترددون على أحد المراكز العلاجية الخاصة للطب النفسي تبين أن تأثير الوصمة المرتبطة بالمرض النفسي يمنع الكثير منهم من طلب العلاج مكرراً لدى الأطباء النفسيين . وكانت نسبة الذكور أكثر من الإناث في العينة رغم ما ورد في مراجع الطب النفسي من أن المرأة أكثر طلباً للعلاج وأكثر تردداً على عيادات الأطباء من مختلف التخصصات. وقد كان الاستنتاج من ذلك أن المرأة في المجتمعات الشرقية أكثر حساسية لوصمة المرض النفسي من الرجل فلا تذهب للعيادات النفسية إلا عند الضرورة القصوى .

مجالات الوصمة :

تشمل المجالات التي تصل إليها وصمة المرض النفسي مناطق عديدة هي

- المريض النفسي *patient* خصوصاً المصابون بأمراض عقلية والذين يطلق العامة عليهم لفظ "المجنون" *mad* . وفي التفكير العامي يرتبط هذا اللفظ بوقع معادي سلبي ، ويوجد لدى العامة ارتباط بين ثلاثة أوصاف هي المريض والمجنون والشرير(*sick , mad, bad*) .وتظل الوصمة تلاحق المريض على مدى حياته حتى بعد أن تتحسن حالته .وتوجد أوصاف رمزية في اللهجة العامية يشير بها الناس إلى المرضى النفسيين . ويزيد من ذلك المعتقدات الخاطئة حول

المريض النفسي بأنه عدواني *aggressive* ويتصف بالعنف *violent*، ولا يمكن التنبؤ بما يفعل *unpredictable* ، وغير قادر علي العمل فلا يمكن الاعتماد عليه

- الأسرة *family* التي تضم مرضي نفسيين تلحق بها الوصمة نتيجة للإعتقاد بانتقال الأمراض النفسية بالوراثة عبر الأجيال في أسر معينة ، وقد يتسبب ذلك في عزلة هذه الأسر والابتعاد عنها .
- العاملون *staff* في مجالات الخدمة النفسية خصوصاً في المصحات والمستشفيات العقلية مثل الأطباء الذين يطلق عليهم دكاترة المجانين ، ولهم أوصاف تثير الضحك والسخرية في العامية العربية والأجنبية ، وغيرهم من الأفراد الذين يعملون في هذه الأماكن .
- مؤسسات الخدمة *facilities* التي تقوم بالعلاج والإيواء والرعاية للمرضي العقليين ، حيث تمثل أسماء هذه المؤسسات من مصحات ومستشفيات وصمة تلحق بكل من يتعامل معها .
- بعض أنواع العلاج *treatment methods* تمثل وصمة لمن يتعاطاها مثل أنواع الأدوية النفسية ، والعلاج بالجلسات الكهربائية .
- المجتمع *community* أو المدينة *town* قد تكون موضوعاً للوصمة نتيجة لارتباطها ببعض المصحات أو المستشفيات النفسية

*جوانب أخرى للوصمة في البيئة العربية :

بالإضافة إلي الاتجاهات والمفاهيم والأفكار السلبية نحو الأمراض النفسية التي تأكدت من واقع دراسات متعددة في العالم ومن المجتمعات العربية فإن هناك

عدة حواجز يمكن أن تسهم في توضيح إضافي لظاهرة الوصمة المتعلقة بالأمراض النفسية في البيئة العربية بوجه خاص سنورد ذكراً للبعض منها .

وقد تحدثت أدبيات عن مرض الاكتئاب النفسي *(Depression)* في البيئة العربية مقارنة بالنموذج الغربي الذي تصفه مراجع الطب النفسي. وعند مقارنة مرضى الاكتئاب العربي بالمرضى في المجتمعات الغربية، وجد أنهم يلجئون إلي وصف أعراض جسدية *(Somatization)* كبديل لأعراض الاكتئاب لاعتقادهم أن ذلك يمكن أن يجنبهم مشكلة الوصمة وتبعاتها النفسية غير المرغوبة، وكذلك فإن ظاهرة الانتحار *(Suicide)* كإحدي مضاعفات الاكتئاب لا تمثل مشكلة في البيئة العربية نظراً لأنها تمثل وصمة خطيرة وتتعارض مع القيم الدينية .

وهناك بعض المناطق المتعلقة بالأمراض النفسية لا يتم مناقشتها ويصعب الاقتراب منها لأنها تمثل جرحاً بالغاً عند تناولها علناً أو داخل العيادات النفسية مثل الاضطرابات النفسية الجنسية *(Psychosexual disorders)*. ويتسبب ذلك في صعوبة تشخيص هذه المشكلات الشائعة ، وعدم القدرة على علاجها بأساليب علمي .

أما فيما يتعلق بأساليب علاج الاضطرابات النفسية في البيئة العربية، فقد تأكد من خلال الملاحظة والدراسات أن المرضى يفضلون اللجوء إلي الوسائل غير الطبية لدي المعالجين الشعبيين والمشعوذين للتخلص من المشكلات النفسية، وتؤكد بعض الدراسات أن تناول المريض وأقاربه لهذه الوسائل العلاجية غير الطبية والنتائج التي تتحقق باستخدامها قد تفوق ما يتم تحقيقه باستخدام الوسائل النفسية الحديثة. غير أننا نرجع سبب الإقبال على هذه الوسائل العلاجية الشعبية

إلى ظاهرة الوصمة أيضاً. لأن شعور الوصمة باستخدام هذه الوسائل يقل كثيراً أو ينعدم مقارنة باللجوء إلي الطب النفسي.

وحول موضوع وصمة المرض النفسي في البيئة العربية يمكن لنا أن نصل إلي استنتاج أهمية هذه الظاهرة في المجتمعات العربية، وضرورة مناقشة كل جوانبها بعد دراسة هذه الجوانب علمياً بواسطة المتخصصين لاقتراح الحلول التي يمكن تخفف من آثارها السلبية على ممارسة الطب النفس في الدول العربية وهنا نضع بعض التوصيات :

- الاهتمام بمزيد من البحث والدراسة حول أبعاد وجوانب وصمة المرض النفسي في البيئة العربية.
- التركيز على دور الإعلام والتوعية الصحية في مواجهة هذه الظاهرة .
- أهمية توفير معلومات دقيقة ومبسطة للجميع لإزالة الغموض المرتبط بالوصمة.
- عدم الاصطدام بالمعتقدات وـ حاولة تعديلها وتغييرها بأسلوب ملائم.
- الاهتمام بمسألة الوصمة عند التخطيط لإقامة ونشر الخدمات النفسية الحديثة

الجنون.. واعمال الشيطان

هنا مناقشة لقضية هامة هي علاقة الشيطان بالجنون أو بالمرض النفسي وهنا نجيب علي اسئلة تدور بالأذهان .. منها علي سبيل المثال :

- هل يسبب الشيطان الجنون ؟
- ما رأى الطب النفسي في كلام الجن والشياطين علي لسان بعض المرضي؟
- هل لحالات الوسواس القهرى والصرع علاقة بوساوس الشياطين ومس الجن ؟
- ما هي وجهة نظر الطب النفسي في معتقدات الناس حول الشياطين والجنون ؟

والشيطان معروف للجميع..وهناك من الكتب والمؤلفات الكثير حول كل ما يتعلق به من النواحي الدينية،وقد صادفني مؤخراً بحث علمي بعنوان "الشيطان في الفكر الاسلامي". كما طالعت في احدى المكتبات عناوين لكتب منها "تلبيس ابليس". و"اغاثة اللهفان من مصايد الشيطان"..وغير ذلك كثير.. كما قرأت ان الشيطان ورد ذكره في القرآن الكريم ٨٨ مرة وفي الاحاديث الشريفة ١٠٧٠ مرة وابليس ذكر في القرآن ١١ مرة وفي الحديث ٥٦ مرة .. وهنا نتناول بعض الجوانب النفسية للعلاقة بين الشيطان والمرض النفسي الذي يطلق عليه العامة " الجنون".

دور الشيطان في الجنون:

هناك اعتقاد قوى لدى قطاعات كبيرة من الناس خصوصاً المصابين باضطرابات نفسية واقاربهم بأن هناك قوى خفية تسببت في اصابتهم بالمرض النفسي ، وهم يتفقون علي ذلك وكأنه حقيقة مسلم بها ، ويظل الخلاف في الكيفية التي يعمل بها الجن او الشياطين فيتصور البعض انهم يدخلون الي داخل جسد الانسان ويسببون له الاضطراب الذى لا يشفي الا بخروجهم منه ، ويعتقد البعض الاخر ان مجرد المس من جانب هذه المخلوقات يكفي لحدوث المرض ، ويرى آخرون ان المسألة هي وساوس يقوم بتوجيهها الشيطان الي ضحاياه عن بعد ..

والشيطان في كل الحالات متهم بأنه السبب الرئيسي وربما الوحيد وراء المرض النفسي علي وجه الخصوص واحيانا بعض الحالات المرضية الاخرى ويدفع هذا الاعتقاد الكثير من المرضي الى طلب العلاج لدى الدجالين والمشعوذين الذين يتعاملون مع الجن والشياطين دون التفكير في اللجوء الي الطب النفسي الا بعد مرور وقت طويل من المعاناة .

ويحكم العمل في الطب النفسي فإن نسبة لا تقل عن ٧٠٪ من المرضي يذهبون في البداية الي المعالجين الشعبيين او المشعوذين قبل ان يفكروا في زيارة الطبيب النفسي ، ورغم انه لا يوجد دليل واحد علي علاقة الشيطان بالامراض النفسية فإن بعضا من المتعلمين الي جانب البسطاء لا يستطيع فهم الحقائق العلمية التي تؤكد ان غالبية الامراض النفسية الرئيسية قد تم التوصل الي معرفة اسبابها وانها نتيجة تغييرات كيميائية في الجهاز العصبي يمكن علاجها عن طريق

تعديل الخلل الذى يعاني منه المريض باستخدام الادوية النفسية الحديثة . وكما سنعرض نماذج لذلك في هذا الموضوع فإن الشيطان ليس له دور مطلقاً في هذه المسألة .

مع الجنون.. يتكلم الشيطان !!

من الحالات الغريبة التي يتناقل الناس الحديث حولها في المجتمعات العربية حالات لمرضي يغيبون عن الوعي ويبدأ الشيطان او الجن في الحديث من داخلهم !! .. فالكلام يصدر عنهم لكنه بنبرات واسلوب يختلف عن طريقتهم المعتادة في الحديث . والكل هنا يؤكد ان المتحدث هو المخلوق الغريب بداخلهم . وربما يذكر هذا المتحدث اسمه وديانته والمكان الذى حضر منه فهناك الجن الكافر ، وهناك الشيطان الصغير . والفتاة المثقفة . والمرأة التي تعدى رغبتها في الزواج من المريض او الرجل الذى يؤكد انه يحب ضحيته ولن يتركها . وكل هذه نماذج من الشياطين الذين يتحاورون مع المحيطين بالمريض وكثيراً ما يقدم الواحد منهم بعض المطالب حتي يتخلي عن المهمة التي يقوم بها مع هذا المريض ويتركه وشأنه .. والكلام هنا مؤكد ، وتسمعه من مصادر كثيرة لدرجة ان بعض الناس يقول لك ان لديه تسجيلات لهذه الوقائع بصوت الشيطان نفسه حتي يصدق الجميع ذلك .. فما تفسير هذا من وجهة نظر الطب النفسي !؟

والواقع انني شخصياً قد استمعت الي مثل هذه الاشياء في حياتي العملية عدة مرات .. لكن هذه الحالة ايضاً لا علاقة لها بالشيطان نهائياً ، والمتحدث هنا هو المريض نفسه وهو في حالة نطلق عليها التحور الهستيرى يغيب فيها عن الوعي

مؤقتاً وتظهر بعض محتويات عقله الباطن فيقوم بالتنفيس عن بعض رغباته المكبوتة ويهرب من الواقع والضغوط التي لا يحتملها فيتصور الجميع ان بداخله شيطان يتكلم ، وهذه الحالات لا تحتاج الي جلسات " الزار " او الذهاب الي الدجالين ، او ضرب المريض بقسوة لإخراج الجن ، كل ما في الامر هو تهدئة المريض وبحث حالته النفسية والتعامل مع الضغوط التي يتعرض لها ، وهنا تتحسن الحالة دون تعامل مع الشيطان .

الاصوات والخيالات والوساوس .. جنونية أم شيطانية !؟

مرض الوسواس القهرى OCD هو احد الامراض النفسية الشائعة بصورة لم نكن نحيط بها من قبل حيث اعتقد الاطباء النفسيون انه من الحالات النادرة لكن الدراسات الحديثة تؤكد انه يصيب ٣٪ من الناس .. وقد ارتبط هذا المرض في الاذهان بوساوس الشياطين بسبب التشابه بين مسمي " الوسواس القهرى " ووصف الشيطان " الوسواس الخناس " الذى ورد في القرآن الكريم ، لكن إذا علمنا ان الوسواس القهرى قد اصبح من الامراض التي تم كشف النقاب عن الكثير من اسرارها ، وان هذه الحالات لها علاقة ببعض المواد الكيميائية في المخ مثل مادة "السيروتونين " التي يتسبب اختلالها في اعراض الوسواس القهرى وهي

- اعمال وسواسية في صورة تكرار افعال وطقوس لا معني لها مثل غسل الايدى ، او الطهارة عند ملامسة اى شئ ، او التمتمة بكلمات او اعداد معينة قبل بدء اى عمل ، او إعادة الوضوء عدة مرات قبل الصلاة .

- افكار وسواسية مثل الانشغال والاستغراق في التفكير في موضوعات نادرة وقضايا لا حل لها مثل مسألة البيضة والدجاجة ومن الذى اتي اولاً؟ .. او البحث في شكل الشيطان وماذا يأكل وكيف يعيش ؟ .. او افكار دينية او جنسية لا معني لها تشغل التفكير وتعوق الشخص عن مزاولة حياته .
- مخاوف وسواسية لا اساس لها من اشياء ليست مصدر خوف على الاطلاق .

وكل هذه الصور لحالات الوسواس القهرى هي حالات مرضية يتعامل معها الطب النفسي حالياً بالعلاج الدوائي الذى يعيد الاتزان النفسي ونسبة الشفاء عالية حالياً باستخدام احيال الادوية الحديثة ولا علاقة للشيطان بكل هذه الوساوس المرضية .

اما الهلاوس *Hallucinations* فهي ان يتصور المريض انه يرى اشباحا او يسمع اصواتاً تتحاور معه او تهدده او تأمره بأن يفعل اشياء معينة . وقد يفسر الناس ذلك بأن الشياطين هي التي تفعل ذلك . لكن ومن وجهة نظر الطب النفسي هي وجود خلل في جهاز الاستقبال لدى المريض يجعله يستقبل صوراً واصواتاً لا وجود لها . وهذه الحالات ايضاً تتحسن بالعلاج بالادوية الحديثة ولا دخل للشعوذة في هذه الاعراض النفسية المرضية التي تحدث في مرضي الفصام والامراض العقلية الذهانية .

مرض الصرع .. ومس الشيطان :

يعتبر الصرع من اكثر الامراض العصبية انتشاراً حيث يصيب ١/ من الصغار والكبار ومن اعراضه حدوث نوبات غياب عن الوعي قد تكون شديدة او خفيفة . وفي حالة النوبة الكبرى يسقط المريض علي الارض في حالة تشنج يهتز لها كل جسده ويغيب عن الوعي نهائياً ولا يفيق الا بعد مرور وقت طويل وتتكرر هذه النوبات في اى وقت واى مكان . وقد كان التفسير الشائع لهذه النوبات انها نتيجة مباشرة لمس الجن . وكان بعض الناس يستندون الي التشبيه الذى ورد في آيات القرآن الكريم : " .. لا يقومون الا كما يقوم الذى يتخبطه الشيطان من المس".. وطل مرض الصرع موضوعاً للكثير من الخرافات والأوهام . وتعرض المرضي لكثير من الممارسات غير الطبية ظناً من الناس ان الارواح والشياطين وراء حدوثه حتي كشف الطب الحديث حقيقة هذا المرض .

ونوبات الصرع كما تبين من خلال الابحاث الطبية هي نتيجة لخلل في موجات المخ الكهربائية نتيجة شحنات زائدة من بؤرة نشطة تسبب إثارة الخلايا العصبية وتحدث النوبة نتيجة لذلك . ويمكن كشف ذلك ببساطة حالياً عن طريق جهاز رسم المخ EEG الذى يلتقط هذه الاشارات ويحدد شدتها ومكانها . كما يمكن علاج حالات الصرع عن طريق الادوية التي تسيطر علي هذا الخلل الوصفي في المخ ولا علاقة نهائياً للجن والشياطين والارواح الشريرة بهذا المرض كما كان يعتقد من قبل .

وفي ختام هذا الموضوع حول الشيطان والجنون أو المرض النفسي فإننا نذكر بعض الحقائق العلمية الهامة . التي تمثل وجهة نظر الطب النفسي في هذه المسألة .. وهي .

- لا دخل للشيطان بالامراض النفسية والعضوية التي تصيب الانسان واسباب هذه الامراض اكتشف الطب جوانب كبيرة منها . وتوصل الي علاجها بعيداً عن اى قوى خفيه .
- لا يوجد ما يدعو الي تعظيم شأن الشيطان بأن ننسب اليه اشياء كثيرة مع انه كما نعلم من نصوص القرآن اضعف من ذلك بكثير ولا يستطيع السيطرة علي الانسان الا من خلال قدرته المحدودة علي الإغواء لبعض الناس ممن لديهم الاستعداد لذلك .
- القضية التي ناقشناها هنا في هذا الحيز المحدود بعيدة عن اى جدل فقهي والمطلوب هو حملة توعية لتوضيح الحقائق حتي لا يختلط العلم والايمان بالخرافة والدجل .
- الممارسات التي يقوم بها ادعياء الطب والدجل والشعوذة باستغلال معتقدات الناس حول الشيطان وعلاقته بالمرض النفسي يجب ان يتم وضع حد لها بعد ان تطور الطب وتوصل الي كشف الكثير عن اسباب وعلاج هذه الحالات .

واخيرا فإننا بعد مناقشة هذه النقاط فإننا لم نغلق هذا الموضوع بل نعتقد انه اصبح مفتوحاً لمزيد من الآراء بعد توضيح هذه الحقائق من وجهة النظر النفسية . ونرجو أن نكون قد وفقنا الي القاء الضوء علي هذه الجوانب الغامضة للأمراض النفسية .

المجانين في الشوارع

ليس الجنون الا نوع من الاضطراب في الحالة العقلية والسلوك ينعكس في صورة قيام الشخص بتصرفات شاذة يعتبرها المحيطين به خروجاً علي عرف المجتمع غير أن ما يقوم به المريض من أقوال وإشارات وأفعال لها دوافعها النفسة تحكم الحالة المرضية التي يعاني منها والتي لا يستطيع الآخرين فهمها فيصفونها بالجنون . وما نؤكده هنا هو أن هذه الحالات في ازدياد مستمر حيث تشير إحصائيات منظمة الصحة العالمية بما يدل علي أن العالم اليوم يعيش عصر الأمراض النفسية .

ومن الطبيعي أن يتواجد المرضي العقليون (وهو الوصف الذي يطلقه الأطباء النفسيون علي من يصفهم الناس بالمجانين) في المجتمع ويمارسون حياتهم في كل مكان حيث نصادفهم في الشوارع والحدائق والمقاهي نظراً لأن طاقة المستشفيات والمصحات لا تستوعب سواء كل هذه الأعداد . وإذا أخذنا مثلاً علي ذلك مرضي الفصام العقلي وهو من أسوأ الأمراض العقلية التي تسبب تدهوراً خطيراً في الشخصية والسلوك وتؤدي إلي انفصال المريض عن المجتمع وإهماله لعمله وعدم المبالاة بأي شيء وعدم العناية بمظهرة أو ملابسة فإننا نجد أن عدد المرضي في مصر تبعاً للإحصائيات العالمية (١٪) يزيد عن نصف مليون لا تستوعب منهم كل المستشفيات العقلية أكثر من ٢٪ (أقل من ١٠ آلاف) والباقي خارج المستشفيات وكثير منهم يعيشون في ظروف سيئة حيث يتسبب المرض العقلي في تدهور حياتهم الاجتماعية والأسرية وتخلي الجميع عن المريض فيضطر بعضهم إلي

البقاء في الشوارع دون رعاية ، ومع زيادة أعدادهم فإنهم يتعرضون لكثير من الأزمات ، كما يتسببون في مشكلات متنوعة أثناء وجودهم دون رعاية وسط المارة في الشوارع .

ومن المشاهد التي تلفت الأنظار في زحام السيارات والمشاة في شوارع المدن المزدحمة بعض الأشخاص ممن يبدو من خلال مظهرهم وعدم اهتمامهم بملابسهم أو إهمال حلاقة اشعر أنهم يعانون من اضطراب عقلي ويقومون بتوجيه إشارات لسائقي السيارات باستخدام الأيدي للتحرك أو التوقف ويستخدم بعضهم صفارات يطلقها مصاحبة لأوامره بتنظيم مرور السيارات والمشاة في الاتجاهات المختلفة ، والحقيقة أن هذا المشهد المتكرر قد لا يخلو من الطرافة ويثير تعليقات قائدي السيارات والمارة ولكنه يتطلب أن نراه بنظرة التحليل من النظرة النفسية فالشخص الذي يقوم بذلك ويندمج فيه ويصفه الآخرين بالإجماع بأنه مجنون لأنه يقوم بعمل لم يطلب منه ولا يتقاضى علية أي مقابل وليس من اختصاصه ، لكن عين الطبيب النفسي حين ترى هذا المشهد فإن التفكير يتجه إلي إنسان يعاني من الاضطراب العقلي لأنه خرج عن المألوف الذي يتعارف عليه الناس ، وربما كانت لديه رغبة داخلية قوية تدفعه إلي أن يري كل شيء حوله منظم بصورة مثاليه والحياة ليست بهذه الصورة ، وقد تدفعه رغبة في حل مشكلات الشارع الذي يمثل بالنسبة له فوضي الوسط المحيط به إلي محاولة تنظيم منطقة ما (هي تقاطع طرق في الغالب) كرمز لمحاولة ضبط الحياة من حوله والتصدي للفوضى والعودة إلي الانضباط والمثالية التي يفتقدها .. لكن جهوده المضنية في تنظيم المرور في نقطة

ما لا يمكن أن تحل مشكلة العالم الذي يمتلئ بالمتناقضات والفوضى ولا يمكن أن يسود فيه الانضباط والمثالية .

وتثير هذه الظاهرة الكثير من الاعتبارات القانونية .. والسؤال هنا هو :

- من المسئول عن وجود هؤلاء المرضي العقليين في الشوارع ؟
- وما حكم ما يتعرضون له وما يتسببون فيه من مشكلات لأنفسهم وللاخرين ؟..

والإجابة علي هذه التساؤلات ليست يسيرة . فالجميع يبعدون أنفسهم عن هذه المسئولية . الأسرة تتخلى عن الشخص لأن المرض العقلي يجعل منه عبئاً لا يحتمل . فحالته المتدهورة تجعله غير قادر علي العمل أو الكسب . وعلاجه يتطلب الكثير من النفقات . والجهات التي تقوم علي الرعاية الطبية والاجتماعية لديها ما يشغلها عن هؤلاء المرضي في الشوارع . والأمن لا يتحرك إلا إذا حدثت مشكلة . لكن طرح هذا الموضوع يعتبر من الأولويات لأن فئة المرضي العقليين (ولا نريد أن يصفهم أحد بالمجانين) من الفئات الخاصة التي تتطلب الرعاية من المجتمع فهم إخوان لنا ولا دخل لهم فيما أصابهم من مرض وندعو إلي أن تتبنى لجنة من الجهات المختلفة الحكومية من أطباء وقانونيين والأمن ومؤسسات الرعاية الاجتماعية والجمعيات الأهلية الاهتمام بهذه المشكلة ووضع الحلول المناسبة لها.

مرض " ديوجينز ":

..ثمة أمر لا يخلو من الطرافة يتعلق بما تتحدث عنه،فقد وجد أن نسبة من كبار السن ممن ينتمون إلي الطبقات العليا أو المتوسطة في المجتمع،ولا يعانون من الفقر،يفضلون العيش بمفردهم،ويتجهون إلي اهمال ملابسهم ونظافتهم الشخصية،بل أكثر من ذلك يجمعون القمامة والقاذورات ويحتفظون بها الذى يعيشون فيه يكون في حالة من الفوضي الشاملة ، ورغم أن هؤلاء الناس لا يعانون من مرض العته أو خرف الشيخوخة ولا من الاكتئاب أو التخلف العقلي فإنهم يختارون الاستمرار في الحياة بهذه الطريقة ، والزهد في كل شئ في الحياة رغم امكانية توفر بدائل أفضل لهم ، ويعتبر ذلك لونا من التطرف في سلوك هؤلاء المسنين قد يعرضهم للإصابة بالأمراض أو الهلاك من برد الشتاء ، وقد أطلق علي هذه الحالات مرض " ديوحينز " نسبة إلي الفيلسوف الذى أسس المبدأ القائم علي فلسفة الزهد في الحياة وأطلق عليه المدهب " الكلبي " أو الساخر ، ولله في خلقه شئون !!

الجنـــون .. والفنـــون

يقولون في الأمثال الشعبية: " الجنون.. فنون".. وقد أثبت العلم وجود علاقة قوية بين الحالات الأنفعالية الشديدة التى تسبب الأضطراب النفسى والتى يطلق عليها عامة الناس " الجنون" وبين الأبداع الفنى الذى يظهر في صورة لوحات فنية معبرة عن العالم الداخلى للأنسان .. وأحياناً في صورة أعمال أدبية أو فنية تظهر فيها عبقرية استثنائية غير معتادة .. وهنا محاولة لاستكشاف هذه العلاقة بين الأبداع الفنى والأنفعالات الأنسانية الداخلية.

الأبداع .. حالة نفسية:

حين يبدع الأنسان فإنه في الغالب لا يكون في حالة طبيعية من الوعى المعتاد، وحين يكون في هذه الحالة الخاصة فإن ما يعبر عنه في إبداعه الفنى يكون تعبيراً عن كوامن نفسه، وانعكاساً ـ في عقله الباطن وتعبيراً عن تجارب وخبرات من الماضى والحاضر، أو تطلع الى المستقبل، كما أن الأبداع الفنى بين وجهة النظر النفسية هو ظاهرة استثنائية يكون وراءها في العادة موهبة فطرية تؤدى الى القدرة على الخلق والتميز، ومن ناحية أخرى فإن المعاناة الأنسانية والظروف والمؤثرات التى يتعرض لها الأنسان هى التى تظهر هذه الموهبة.. ومن هنا كان الأرتباط بين الأبداع والحالة النفسية .

وتنعكس الأنفعالات والمشاعر الداخلية للأنسان على أسلوبه في التعبير بالكتابة، أو الكلام، أو حين يمسك قلماً ويرسم على الورق.. فالأنسان الذى يعانى من الأكتئاب النفسى مثلاً ويرى الحياة كئيبة والدنيا كلها يأس وظلام، يتجه الى

رسم أشكال سوداء، وأشياء مشوهة ذات ألوان داكنة، بينما يمكن لنفس هذا الشخص حين يتخلص من الأكتئاب ويعود الى حالته الطبيعية أن يرسم لوحات من الزهور وأشياء تدعو الى البهجة والفرح ويلونها بألوان زاهية.. كما أن الأنسان في حالة القلق والخوف يعبر عن ذلك بالكلام والرسم بما يعكس ما يدور بداخلهمن مشاعر وأفكار.

فنون المرضى .. وفنون المبدعين:

حين يقوم المرضى العقليون الذين يعانون من الهلاوس - وهى أصوات يسمعها الأنسان أو أشكال تتراءى أمامه- بالتعبير بالرسم فإن لوحاتهم تعكس العقد والصراعات في داخلهم، ويبدو فيها الغموض والحيرة وتداخل الأفكار.. ولعل الرسم هو أحد الوسائل التى يمكن للأطباء النفسيين استخدامها لمعرفة الكثير من العقد والأفكار المكبوتة داخل العقل الباطن لهؤلاء المرضى حين يتم السماح لهم بالتعبير الحر عما يريدون عن طريق الرسم، ثم تحليل ما يقومون باسقاطه على الورق.

وفى الأعمال الفنية لكبار الفنانين العالميين ما يدل على الخلفية النفسية لهم من خلال العلامات والدلائل التى تحملها الأشكال والألوان التى تزخر بها اللوحات والأعمال الفنية الشهيرة. ومثال ذلك أعمال الفنان" فان خوخ" التى تأثرت بالمرض النفسى الشديد الذى كان يعانى منه حتى أنه في نوبة من الأضطراب النفسى قام بقطع احدى أذنيه وقدمها هدية لأمرأته.

الفن العلاجي.. في العيادة النفسية:

هناك لوحات تعد من الأعمال الفنية العالمية الخالدة تحمل أسماء لها دلالات نفسية قوية.. مثل لوحة " المكتئب" لفان جوخ.. ولوحة " الصرخة" التي تعبر عن القلق والخوف من أعمال " مونش "، ولوحات أخرى عديدة تدل ألوانها وخطوطها وفكرتها على ما بداخل عقل صاحبها من مشاعر الحزن أو القلق أو ما أصابه من اضطراب وتداخل وتشويش. وفي الجانب الآخر هناك لوحات تبعث رؤيتها عن النظر اليها للوهلة الأولى على الأرتياح، مثل لوحة الموناليزا أو "الجيوكاندا" الخالدة التي تمثل وجهاً يبتسم.. وتعطي اللوحة شعوراً لكل من يراها يحمل الأيحاء بالأرتياح والتفاؤل.

جنون .. فان جوخ:

كانت أعمال فان كوخ مؤثرة جدا .. ولها خصوبتها البالغة .. فهناك تدفق وهناك مواجهة مع الحياة بكل غناها وعطائها . ففي لوحاته نبض الحياة الحقيقي الحي والقوة الهائلة التي تنبعث من الأفكار التي يرسمها.. تتفجر الألوان كصرخة فهناك المساحات المسطحة من الألوان الأبيض والفضي والقرمزي ، وعلى الخصوص وقبل كل الألوان هناك الأصفر وهو اللون المفضل من بين الألوان لدى فان كوخ. فنحن نرى الأصفر من لوحة "سهل كرو" . ولوحة "قهوة المساء" ومرورا بلوحة "عباد الشمس". ويضع فان كوخ هذا اللون دون أدنى تحفظ.

" اطلنتب " .. فان جوخ

و" فان جوخ " عرف بحالة الاضطراب النفسي الشديد التي تنتابه حتي لقد قطع اذنه اليسرى ذات مرة ليهديها الي أمرأة ، ولعل من اشهر لوحاته ما تحمل اسم " المكتئب " ! كما يوجد لوحات اخرى من الفن العالمي تحمل عنوان "الاكتئاب " و " الصرخة " ، وغير ذلك من دلالات الاكتئاب . . وخلال بحث هذا الرسام عن المطلق يهرب من الفروقات اللونية وكذلك يرفض الرقة الناجمة عن استخدام التدرج اللوني ويرفضها مفضلا عليها الديناميكية التي تنطلق من استخدام الألوان المتناقضة في لوحاته .. وفي المناظر الطبيعية وجدت طبيعة الفنان الشغوفة ما كانت تصبو إليه وهو توهج الضوء وهذا لم يجده في غيوم هولندا ولا في سماء باريس. كان فان كوخ يذهب دائماً إلى عمق المناظر التي يرسمها ويقترب منها أكثر فأكثر فهناك شجرة السرو والزيتون وحقول القمح . ويمكن أن نرى في لوحاته صور هلوسة لمخيلة مريضة .

كان فان كوخ مجنونا إن كان لهذا المفهوم معنى محدد...لكنه على الأقل كان يتعرض لأزمات من الجنون وأدخل إلى المستشفى عدة مرات وعاش فترات من الإكتئاب والقلق.

دمر فان كوخ حياته بالكامل، وكان موته صورة مشابهة لأعماله حيث أطلق رصاصة على صدره في حقل قريب من باريس وذلك في ٢٧ يوليو ١٨٩٠.

إرسم شيئاً .. تظاهر عقلك:

لقد أمكن في العيادة النفسية استخدام أسلوب الرسم في تشخيص الحالات التي تعاني من الأضطرابات النفسية .. واظهار الكثير مما يخفيه المرضى من الصغار والكبار عن طريق السماح لهم بالتعبير عما يشعرون به في صورة رسم ولوحات فنية. فحين نطلب الى الطفل الذي يعاني من اضطراب نفسي أن يرسم صورة لرجل ، أو نطلب منه أن يرسم وجه أبيه أو أمه أو معلمته في المدرسة فإنه في هذه الحالة عادة ما يعبر عن شعوره نحو كل من هؤلاء بابراز ملامح مرغوبة أو اظهار علامات مشوهة في أشكالهم تعبر عن وجهة نظره نحوهم التي لا تستطيع أن يعبر عنها الكلام .

عزيزي القارىء - لقد أمكن لي من خلال عملي في مجال الطب النفسي ملاحظة الكثير مما يقوم المرضى النفسيون حين يعبرون بالرسم.. فكان محتوى لوحاتهم في كل الحالات هو انعكاس لأنفعالاتهم ومشاعرهم وأفكارهم .. بما يمكننا في كثير من الحالات من التوصل الى ما يدور داخل عقولهم من هموم وأفكار لايعبرون عنها بالكلام أثناء المقابلة والحديث مع أطبائهم.

أن جمع وتحليل نماذج من رسوم المرضى النفسيين - وهذا ما حاولت عرض البعض منها هنا - قد نتعلم منه الكثير حين نحاول عن طريق الفنون أن نغوص في أعماق النفس الأنسانية.

الجنون .. والجنس

بحكم عملنا في مجال الطب النفسي فإن الارتباط الوثيق بين النواحي النفسية والممارسة الجنسية يعتبر حقيقة تؤكدها الملاحظة في كل الأحوال .. والدليل علي العلاقة بين الحالة النفسية والجنس هو ما يلاحظه كل منا ببساطة من أهمية راحة البال والهدوء النفسي لنتمكن من الاستمتاع بممارسة الجنس في حياتنا المعتادة . وأي واحد منا يعاني من القلق وانشغال البال أو التوتر فإن الناحية الجنسية تتأثر نتيجة لذلك ولا يمكنه القيام بواجباته الزوجية علي الوجه الأكمل . كما أنه من المعروف أن الكثير من الأمراض النفسية مثل القلق والاكتئاب والوسواس القهري تكون مصحوبة باضطراب في أداء الوظيفة الجنسية لا يتحسن إلا بعلاج هذه الأمراض النفسية .

كما أننا نلاحظ بحكم العمل في مجال الطب والعلاج النفسي أن الكثير من المشكلات الزوجية وسوء التوافق بين الزوجين الذي يؤدى غالباً للإنفصال والطلاق قد يكون العامل الرئيسي المسبب لكل ذلك هو عدم التوافق في العلاقة الزوجية بين طرفي الزواج . وقد تظهر المشكلات في مناطق أخرى من العلاقة الزوجية لكن الجنس يكون هو السبب الحقيقي وراء ذلك . ويمثل الحديث عن الحياة الجنسية منطقة حرجة لا يرغب الجميع في الاقتراب منها حتى في العيادة النفسية. والرجال في العادة أكثر إقداماً علي الشكوى من المشكلات الجنسية مقارنة بزوجاتهم . وقد يتطلب الأمر أن يكون الطبيب النفسي هو الذي يبادر بالسؤال عن الحالة الجنسية

لارتباط ذلك بالحالة النفسية لكن ذلك يكون شائكاً بالنسبة للسيدات خصوصاً غير المتزوجات!!

ظل الشذوذ الجنسي *Homosexuality* لمدة طويلة يصنف كأحد الانحرافات الجنسية والنفسية ، ورغم أن الجنسية المثلية أو ممارسة الشذوذ مع شخص من نفس الجنس من الأمور التي لا تتفق مع الأعراف والتقاليد في معظم المجتمعات بدرجات متفاوتة إلا أن هذه الحالة ينظر إليها في بعض الثقافات الغربية علي أنها أسلوب في التعبير الجنسي ، ولذلك فلا يعتبر الشذوذ أو ممارسة الجنسية المثلية في حد ذاته اضطراب نفسي إلا إذا اقترن بمشاعر سلبية مثل الرفض من جانب الشخص الذي يمارسه أو شعوره بالندم وتأنيب النفس إزاء ما يفعل ، فيعتبر في هذه الحالة يعاني من اضطراب نفسي .

ويعتبر تقرير كنزي في عام ١٩٤٨ من المصادر الهامة التي يتم الرجوع إليها للتعرف علي انتشار الاضطرابات النفسية الجنسية، وقد وجد كنزي أن انتشار الشذوذ الجنسي يصل إلي نسبة ١٠٪ في الرجال، و٥٪ في النساء، وأضاف أن ٣٧٪ من مجموع الناس لديهم خبرة جنسية مثلية في وقت ما خلال حياتهم، وهذه الأرقام تبدو عالية للغاية مقارنة بالدراسات المنهجية التي أجريت فيما بعد وتراوحت فيها هذه النسب العالية لانتشار الشذوذ الجنسي بين ١-٢ ٪ ، كما ذكر كنزي في تقريره أرقاما عن انتشار الانحرافات الجنسية *Paraphilias* رغم صعوبة التوصل إلي إحصائيات دقيقة لهذه الحالات.

والواقع أن الشذوذ الجنسي هو حالة مرضية حيث أن ممارسته قد تبدأ مبكراً .

خريطة توضح المجتمعات التي تبيح الشذوذ الجنسي (درجات اللون الأزرق) — والمجتمعات التي تجرم الأعراف والشرائع فيها هذه الممارسات

تعبر مصطلحات الشذوذ والجنسية المثلية عن أشياء ووظائف وسلوكيات تتصف بالتماثل والتجانس، والعكس -*Hetero* ، ومصطلح الشذوذ أو الجنسية المثلية *Homosexuality* يدل علي سلوك الممارسة مع نفس الجنس، كما تستخدم كلمات *Gay* لوصف من يقوم بهذا السلوك من الذكور، *Lesbiany* لوصف الإناث، وتشير تقديرات الفريد كنزي *A.Kinsey* ، عام ١٩٤٨ إلي هذه الحالة في نسبة ١٠٪ من الرجال و٥٪ من النساء، و٣٧٪ لديهم خبرة بها خلال حياتهم، لكن دراسات حديثة تؤكد أن النسبة في حدود ١٪ فقط، ولا توجد إحصائيات دقيقة حول هذه الأمور الجنسية، وفي عام ١٩٧٣ قامت الجمعية الأمريكية للطب النفسي بإسقاط هذه الحالة من قائمة الاضطرابات النفسية علي اعتبار أنها من بدائل الاختيارات للسلوك الجنسي وليست مرضاً.

مشكلة الضعف الجنسي في الرجال :

لا أحد يعرف علي وجه التحديد كم عدد الرجال الذين يعانون من مشكلة العجز الجنسي.وعلي الرغم من الإحصائيات التي تذكر أن ٥٠٪ من الرجال فوق سن الأربعين في الولايات المتحدة (أي واحد من اثنين من الرجال) يعاني من هذه المشكلة في الولايات المتحدة الأمريكية فإن انطباعي - وأنا الطبيب النفسي الذى اتعامل مع هذه المشكلة بحكم عملي - أن عدد الحالات قد يفوق هذا المعدل كما أنني استطيع التأكيد علي أن المشكلة قائمة في نسبة من الشباب المتزوجين في تحت سن الاربعين أيضاً .. لكن وجود الأرقام الموثوق بها حول هذا الموضوع لا يمكن أن يدعي أحد أن بوسعة التوصل إليها أو إلي حقيقة انتشار هذه المشكلة التي يتعمد أصحابها في كثير من الحالات إخفاءها ويتم التعامل معها بحرج شديد .

ولمشكلة العجز الجنسي أسباب نفسية وعضوية ، وقد كان هناك اعتقاد بأن الأسباب النفسية وراء ٩٠٪ من الحالات لكن الدراسات الحديثة تؤكد أن نسبة الحالات التي يكون فيها سبب عضوي تعادل الحالات التي تعود لأسباب نفسية وأهم الأسباب النفسية الضعف الجنسي هي الخوف من الممارسة الجنسية نتيجة لمعلومات غير سليمة لدى الشخص عن العملية الجنسية منذ الصغر ، أو وجود عقد نفسية دفينة نتيجة لخبرة جنسية في الطفولة أو المراهقة ، أو الإصابة ببعض الاضطرابات النفسية التي تؤثر علي الوظيفة الجنسية مثل القلق والتوتر والاكتئاب النفسي ، أما الأسباب العضوية فإنها تشمل أسباباً موضعية في الأعضاء التناسلية مثل التشوهات أو العيوب الخلقية ، وخلل إفراز الهرمونات

الذكرية ، وإصابات الجهاز العصبي الذي يتحكم في عملية الإثارة الجنسية والإشارات التي يتم بموجبها استجابة الأعضاء التناسلية بالانتصاب ، أو نتيجة قصور في الدورة الدموية للعضو الذكرى حيث أن الانتصاب هو نتيجة لاندفاع الدم في أنسجة هذا العضو. وأي خلل عضوي من الأمثلة السابقة تكون محصلته في النهاية العجز الجنسي.

والسؤال هنا: كيف يكون العلاج ؟ .. يعتمد العلاج في كل الحالات علي تحديد الأسباب المحتملة وراء حدوث العجز الجنسي،والأصل أن الغالبية العظمي من الرجال يفترض أن تكون هذه الوظيفة لديهم طبيعية لأنها تحت تأثير تحكم الجهاز العصبي الذاتي وتتم بصورة تلقائية دون الحاجة إلي تدخل خارجي لذا يجب تقييم الحالات عن طريق الفحص الطبي والنفسي لتحديد موضع الخلل ثم العلاج علي أساس الأسباب سواء كانت عضوية أو نفسية ، وهنا يجدر بنا التنبيه علي تجنب استعمال الأدوية المنشطة للجنس لأن معظمها يحتوى علي الهرمونات الذكرية التي ينشأ عن استخدامها آثار جانبية وخيمة علي الوظيفة الجنسية فيما بعد ، كما كان يتم اللجوء إلي الحقن بمواد تؤدى إلي الانتصاب نتيجة لتوسيع الشرايين في العضو الذكرى ، أو استخدام الأجهزة التعويضية التي تعمل يدوياً أو ميكانيكياً لمساعدة المرضي علي أداء هذه الوظيفة في حالات العجز الجنسي العضوي .

ولقد لاحظت بحكم العمل في مجال الطب النفسي أيضاً أن الكثير من حالات العجز الجنسي يلجأون إلي أساليب الدجل والشعوذة ظناً منهم أن هذه الوظيفة الجنسية قد فقدت نتيجة لتأثير الجن والسحر الأسود الذي تسلط عليهم

بواسطة أشخاص آخرين ويطلقون علي هذه الحالة " الربط " ويعني المنع المتعمد من ممارسة الجنس بواسطة هذه القوى الخفية ، ويقوم الدجالون في مثل هذه الحالات باستغلال ضحاياهم والنصب عليهم للحصول علي أموالهم وكل ما يستخدمونه من علاج يقوم علي الإيحاء ، وقد ينجحون في علاج نسبة من هذه الحالات عن طريق الإيحاء إذا كانت الأسباب نفسية فيكون ذلك مدعاة لأن يصدق البسطاء هذه الأفكار والمعتقدات الخاطئة ، بل ويروجون لها .

وقد ظهر " فياجرا " .. دواء للضعف الجنسي في الوقت الذي كان ولا يزال حلم الوصول إلي حل لهذه المشكلة يراود الملايين من الذين يعانون منها في أنحاء العالم ، وقد بدأت أبحاث إنتاج هذا العقار الذي يمثل ثورة كبرى في المجال الطبي منذ عدة سنوات ، وجاء الاكتشاف بالصدفة حين كانت مجموعة من أدوية القلب تخضع للاختبارات وكان بينها هذا العقار الذي تبين ضعف تأثيره علي شرايين القلب وفي الوقت نفسه تستجيب الأوعية الدموية في العضو الذكرى بالانتصاب فتحول اتجاه البحث إلي إمكانية استخدام هذا الدواء لعلاج العجز الجنسي !!.. وتم إجازته من هيئة الغذاء والدواء الأمريكية FDA ليحمل الأمل الجديد في حل مشكلة العجز الجنسي .. ومن بعده سلسلة اخرى من عقاقير مشابهة من انتاج شركات دواء مختلفة تقوم بنفس الدور و تلقى قبولا هائلا في أنحاء العالم..

و وجهة النظر النفسية في هذا الموضوع..إننا نرحب بهذا الكشف الذي يساعد الإنسان علي التخلص من مشكلة طبية ونفسية واسرية.ويعيد إليه وظيفة هامة.. لكن التفاؤل هنا لا يخلو من الحذر..صحيح أن التجارب التي أجريت علي مدى سنوات وشملت آلاف الاشخاص كانت نتائجها مشجعة لكن يبقي عامل الوقت

لتحديد فائدة أى دواء جديد في مقابل ما قد يظهر له من آثار جانبية ، هذا بالإضافة إلي أن الوظيفة الجنسية لابد من النظر إليها بصورة شاملة علي أنها مسألة اجتماعية ونفسية وعاطفية وليست مجرد وظيفة حيوية ..

جنون الانحرافات الجنسية *Paraphilia*:-

تشمل الانحرافات أو أنواع الشذوذ الجنسية عدة حالات لها آثار عميقة علي الفرد، ولتوضيح معني هذا المصطلح فإن الوظيفة الجنسية يفترض أن تساعد علي الألفة الإنسانية وتدعم الحب بين طرفين، وقبل ذلك وبعده فإن هدفها الرئيسي هو التناسل، أما الشذوذ أو الانحرافات الجنسية فإنها علي عكس ذلك تؤثر سلبياً علي العلاقات الإنسانية رغم أنها تمارس بواسطة نسبة صغيرة من الناس لكنها تؤثر علي دائرة أكبر من المحيطين بهم.

من أنواع هذه الانحرافات:

التعري *Exhibitionism* ، والفتشية *Fetishism* ، والاحتكاك *Frotteurism* ، وجماع الأطفال *Pedophilia* (وهي أكثر هذه الحالات انتشارا حيث يقدر نسبة الأطفال الذين يتعرضون للتحرش الجنسي بحوالي ١٠-٢٠٪ تحت سن ١٨) بالإضافة إلي السادية *Sadism*، والماسوكية *Masochism* ، والتزيي بملابس الجنس الآخر *Transvestism* ، والتلصص *Voyeurism* ، وغير ذلك، كما قد يجتمع أكثر من نوع من الشذوذ في شخص واحد.

وفي مراجع الطب النفسي يرد ذكر الكثير من الحالات لانحرافات ترتبط بممارسة الجنس أو بالأشياء التي تسبب الإثارة الجنسية والتي تختلف عما هو مألوف ومتعارف عليه في الممارسة الجنسية الطبيعية ، ومن أمثلة هذه الحالات :

السادية :

وتعني الحصول علي اللذة الجنسية من الأفعال التي تسبب الألم للطرف الآخر وينطبق هذا الاتجاه لتعذيب الغير في رغبة تتملك بعض الناس ويشعرون في ممارسة ذلك بالإشباع والارتياح الشديد !

والسادية هي نسبة إلي المركيز دى ساد *Marquis de Sade* الذي كتب في القرن ١٨ عن شخص يشعر بالمتعة الجنسية في ألم الآخرين، وقد ترتبط هذه الحالة بالماسوكية (نسبة إلي ليوبلد فون ساكر ماسوك *L.SMasoch* وهو روائي نمساوي في القرن ١٩) التي تربط اللذة مع الشعور بالألم، والسادية من الانحرافات الجنسية وهي أيضاً أحد اضطرابات الشخصية السادية *Sadistic personality disorder*

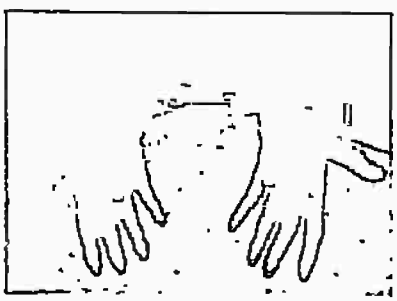

الماسوكية :

وهي عكس الحالة السابقة حيث يتولد شعور اللذة والإشباع من معاناة التعذيب الذي يقوم به الغير نحو هذا الشخص خلال الممارسة الجنسية أو التألم بصفة عامة . ..**و تعتبر الماسوكية (الماسوشية) من الانحرافات الجنسية التي يكون**

مصدر اللذة والإشباع فيها التعذيب والألم الذي يعاني منه الشخص نفسه وينزله به الغير، وتنسب إلي الكاتب الروائي النمساوي ماسوك L.S.Masoch في القرن ١٩ والوصف هو ماسوكي (ماسوشي) *Masochist or Masochistic*، ويمكن ارتباط هذه الحالة بالسادية *Sadomasochism* ، أي إضافة لذة تعذيب الغير أيضاً.

زنا المحارم:-

تعرف هذه الحالة بأنها تشمل أي ممارسة جنسية بين أقارب الدم، وفي تعريف أوسع فإنها تشمل كل من تربطهم صلة قرابة يتعارف علي أنها تمنع الارتباط الجنسي بينهم، فلا تقتصر علي الأب أو العم و الخال و الاخوة بل تشمل الأصهار وغير الأشقاء بين الاخوة، واكثر أنواع هذه العلاقات حدوثاً هي الأب مع ابنته (٧٥٪ من الحالات التي يتم الإبلاغ عنها) ثم الأصهار (مثل والد الزوج أو زوج الأم)، والعم أو الخال، ثم الاخوة الأكبر سناً، واقلها العلاقة بين الأم والابن، ولا يعرف بالتحديد مدى انتشار هذه الحالات نظراً لعدم الإبلاغ عنها.

الفتشية:

في هذا النوع من أنواع الشذوذ أو الانحرافات الجنسية *Paraphilias* يكون مصدر الاهتمام والإثارة الجنسية هو بعض الأشياء والمتعلقات الخاصة بالجنس الآخر مثل الحذاء أو الجورب أو القفاز ، وهذه الحالة خاصة بالذكور وتعود جذورها إلي مرحلة الطفولة والبلوغ، أما الحالة الفتشية مع التزيي *Transvestic fetishism* فإنها تعني ارتداء الذكور للملابس النسائية لتحقيق الإثارة الجنسية .

الكتابة الإباحية: *Pornography*

تعتبر إباحية الكتابة - أى التعبير عن الإباحية بالكلمة والصورة من الانحرافات الجنسية.. وهى الاتجاه إلي ممارسة التعبيرات الإباحية المنافية للآداب عن طريق الكتابة والرسم علي الجدران أو نشر ذلك بأية وسيلة ومن ذلك "الانترنت" ... وهي ما يقوم به البعض من كتابة بعض العبارات الخارجة علي الجدران أو رسم بعض الصور الخليعة داخل دورات المياه العامة ، وتكون هذه الكتابات والرسوم عادة ذات محتوى جنسي خارج.

جماع الحيوانات : حيث يستخدم الحيوان كطرف للممارسة الجنسية ، أو تفضيل معاشرة الأطفال الصغار أو المسنين للممارسة الجنسية ، وأحياناً جثث الموتى ، وكل هذه انحرافات في اختيار الشريك المفضل لممارسة الجنس معه .

التبصص: لَذّة جِنْسِيّة من التطلّع للأعْضَاء الجِنْسِيّة .. في هذه الحالة يتم مراقبة الآخرين والتلصص عليهم باستراق البصر لرؤية أجسادهم والممارسات الجنسية بينهم وتتحقق اللذة بذلك، وتعرف هذه الحالة أيضاً بعشق الرؤية *Scopophilia* ، وتبدأ للمرة الأولي عادة في الطفولة، وهي إحدى حالات الانحراف الجنسي .

التعري والاستعراض *Exhibitionism*: أن التعري واستعراض الأعضاء الجنسية يصاحبه عادة اضطراب في القوى العقلية ، أو الحصول علي اللذة الجنسية من مشاهدة الصور والمشاهد الإباحية ، وغير ذلك من الحالات الغريبة مثل الاستمتاع الجنسي من ارتداء ملابس الجنس الآخر.

الاحتكاك: أحد أنواع الشذوذ أو الانحرافات الجنسية يميل فيه الشخص إلي الاحتكاك الخارجي مع الآخرين في الأماكن المزدحمة، ويكون ذلك هو المصدر الرئيسي للاستمتاع الجنسي في هذه الحالة المرضية.

وتفسير هذه الحالات طبقاً للتحليل النفسي أنها نتيجة لعقد تكونت واستقرت في العقل الباطن في مراحل الطفولة المبكرة حيث كان مصدر اللذة في المرحلة الفمية والشرجية ومراحل النمو الجنسي الأولي قد صادف بعض الاضطراب الذي يعبر عن نفسه عند ممارسة الحياة الجنسية بعد البلوغ وفي مراحل العمر التالية بهذه الصور غير الطبيعية .

ولعلاج هذه الحالات يجب أن نأخذ في الاعتبار ما يشعر به هؤلاء المنحرفون جنسياً من حرج بخصوص حالاتهم ، ويجب بداية التحقق من رغبتهم في التخلي عن هذه الأساليب الشاذة ، ويتم العلاج النفسي بإزالة القلق والتوتر وشعور الندم وتأنيب الضمير الذي عادة ما يصاحب هذه الممارسات ، ومحاولة وضع أنشطة واهتمامات بديلة.

حالة: جنون زيادة الرغبة والإثارة:

في رسالة زوج وردت شكوى من زيادة الرغبة الجنسية وطلب ممارسة الجنس بصورة مستمرة من جانب زوجته . وتلقينا مجموعة كبيرة من الرسائل تتحدث عن نفس المشكلة في الرجل والمرأة علي حد سواء وتطلب التفسير والحل لهذه المشكلة .

الزوج / أ.ش

المشكلات الجنسية متعددة ومتنوعة وتحدث لمعظم الرجال والسيدات من وقت لآخر.. والرغبة الجنسية عادة ما تتغير من وقت إلى أخر وتختلف من شخص إلى أخر في نقلبها بين التراجع أو الزيادة. وهنا نشير إلى مشكلة زيادة الرغبة الجنسية بصورة مرضية لدى بعض السيدات والأسباب تكون في الغالب نفسية حيث يصعب السيطرة والتحكم في الميل المستمر والمتزايد للممارسة الجنسية. وقد يكون السبب هو الإثارة الزائدة نتيجة لاضطراب عضوى أو هرمونى .. ويجدر الإشارة هنا إلى أن حالة مشابهة يصاب بها الرجل فتزيد رغبته بصورة مبالغ فيها تؤدى إلى الإفراط في ممارسة الجنس بطريقة غير مقبولة.

- **والحل** في مثل هذه الحالات هو محاولة تفهم أسبابها بالنسبة لأطراف العلاقة الزوجية حتى لا تتفاقم وتؤدى إلى نتائج سيئة على الزواج ويفيد كثيراً اهتمام بالجوانب النفسية وراء بعض هذه الحالات المرضية التى تعود جذورها أحياناً إلى خبرة سابقة ربما في مرحلة الطفولة أو المراهقة وننصح بممارسة الجنس في الحدود المناسبة في جو من الود والتفاهم دون التركيز على الأعضاء الحسية فقط والاتجاه إلى الهوايات الملائمة والأنشطة المختلفة كبدائل جيدة للتنفيس عن الطاقات الإنسانية .

جنون .. السرقة

Kleptomania

تعتبر السرقة من الجرائم الشائعة التي تتكرر بصورة متفاوتة في كل مجتمعات العالم ..وقد كانت ولا تزال الجريمة بأنواعها من الظواهر المرتبطة بتاريخ الانسان علي مر العصور.. ولا يكاد يخلو مجتمع في العالم من نوع أو آخر من الجرائم .. ومثال علي الحوادث اليومية للخروج علي القانون . التي تحدث باستمرار ، وتمثل أحد الهموم التي يعاني منها الناس ومنها السرقة .. وتزدحم بأخبارها صفحات الحوادث في الصحف .. وهنا نتناول الجوانب النفسية في ظاهرة السرقة .. ونحاول التعرف علي جوانبها النفسية .. وعلي اللصوص وخصائصهم حتي يمكننا التوصل إلي الدوافع التي تجعلهم يسرقون .. وأسلوب الحل لهذه المشكلة التي تكاد تصل إلي حجم الظاهرة في بعض الأماكن .

أسباب ودوافع وراء السرقة :

لعل موضوع جرائم السرقة والتفسير النفسي لها من المسائل التي يتوقف امامها الكثير منا في محاولة لفهم حقيقة ما يحدث والدوافع والأسباب التي تجعل شخصاً ما يرتكب سلوك السرقة أو يجعل منها حرفة يكسب منها كبديل للعمل المشروع ، وكثيرا ما يتساءل الناس هل كل من يقوم بهذه الأفعال مضطربون نفسياً؟ أم انهم يرتكبون جرائمهم تحت تأثير ظروف خارجية تدفعهم الي ذلك ؟

ولبست الأسباب والدوافع وراء جرائم السرقة واحدة في كل الحالات لكنها كثيرة ومتنوعة وتؤدى في النهاية الي هذا السلوك غير السوى الذى يقوم فيه الشخص بالاستيلاء علي أموال وممتلكات الاخرين التي لا حق له فيها . ويشترك الذين يرتكبون السرقة في قاسم مشترك هو وجود نزعة عدوانية قد تخفي رغبة في الانتقام من المجتمع . او حقداً دفيناً علي الآخرين . وهنا يبرر السارق لنفسه الاستيلاء علي ما يملكه الاخرون .

ويرتكب البعض السرقة وهم من غير معتادى الاجرام نتيجة لتعرضهم لظروف قاسية مثل الفشل في تحقيق بعض طموحاتهم . أو حين يتردى وضعهم الاقتصادى والاجتماعي ويتدني دخلهم . وبعضهم يفشل في ايجاد اى عمل فلا يكون له احتياجات غير الاتجاه للسرقة للحصول علي متطلبات الحياة . وقد يقلع بعض هؤلاء بعد تحسن ظروفهم المادية غير ان نسبة منهم يستمرون في احتراف السرقة لأنهم يجدونها الطريق الأسهل في الحصول علي المال .

التحليل النفسي لشخصية اللصوص :

من وجهة النظر النفسية فإن معظم الذين يرتكبون السرقات ويستمرون في ذلك هم من الشخصيات المنحرفة التي يطلق عليها المضادة للمجتمع أو" السيكوباتية " وعادة ما يكون الذين يقومون بالتخطيط لعمليات السطو الكبيرة والذين يتزعمون عصابات منظمة للسرقة من الشخصيات السيكوباتية التي تتمتع بذكاء وقدرة علي السيطرة علي مجموعة من الأفراد يخضعون لهم وينفذون اوامرهم اما الافراد الذين يقومون بالتنفيذ فقط ولا يخططون لجرائم السرقة المعقدة فإنهم

نوع آخر من الشخصية المضادة للمجتمع من محدودي الذكاء يطلق عليه النوع السلبي العدواني الذي يمكن السيطرة عليه وتدجينه . ويشترك هؤلاء في أنهم لا يشعرون بأي تأنيب من ضمائرهم حين يقترفون اعمالا خارجة عن القانون او الاعراف الاجتماعية . وكثير منهم لديه مشكلات في العمل . واضطراب في علاقات الأسرة والزواج . ومشكلات مالية . وتاريخ سابق للاحتكاك بالقوانين نتيجة لاعمال اجرامية مشابهة .

والعلاقة بين السرقة وادمان المخدرات والكحوليات وثيقة حيث يقوم المدمنون بالسرقة للحصول علي المال اللازم لشراء المادة المخدرة التي يتعاطاها وكذلك فإن الشخص تحت تأثير المخدرات والكحول يمكن ان يقدم علي ارتكاب الجرائم ومنها السرقة بجرأة أكبر دون تقدير للنتائج .

في الطفولة تبدأ المشكلة :

إذا تتبعنا التاريخ السابق لبعض اللصوص الذين يحترفون السرقة منذ الطفولة نجد أن التنشئة في الأسرة لم تكن سليمة تماماً-البداية، فغالبية الذين يحترفون السرقة كانوا منذ طفولتهم يعانون من غياب القدوة السليمة، ونشأتهم كانت في بيئة لا تلتزم بالقيم الأخلاقية.وقد ثبت علميا ان حوالي ثلث الأطفال الذين يرتكبون السرقات الصغيرة في الطفولة وأيام الدراسة يتحولون الي"جرامية"كبار فيما بعد...كما ثبت ان حوالي٨٠٪ من محترفي السرقة قد بدأوا اولي خطواتهم في هذا الاتجاه بسرقات صغيرة وهم في مرحلة الطفولة !!

وتكون الفرصة أكبر للجنوح في الاطفال عند البلوغ في مرحلة المراهقة وقد ينتظم بعض منهم في عصابات تقوم بانحرافات وأعمال خارجة علي القوانين منها السرقة والجرائم الأخرى . وتزيد احتمالات حدوث ذلك في القطاعات التي تعيش ظروفاً اقتصادية واجتماعية متدنية . وعند حدوث انهيار في الأسرة نتيجة لانفصال الوالدين . ويحتاج هؤلاء الأحداث الجانحون الي اسلوب يخلط بين الحسم والرعاية حتي لا يتحول غالبيتهم الي مجرمين محترفين فيما بعد .

السرقة المرضية *Kleptomania* .. حالات غريبة وطريفة :

قد يتفهم اى منا حدوث السرقة من " حرامي " محترف يعيش علي ما يسرق من أموال ... أو حين يقوم شخص تحت ضغط الحاجة بسرقة بعض الأشياء للإنفاق علي متطلباته بعد أن ضاقت به السبل لكن اى منا قد يقف في حيرة أمام بعض جرائم السرقة التي يقوم بها شخص ميسور الحال او هو من الأغنياء فعلاً ولا يحتاج الي ما يسرق .. علاوة علي ذلك فإن ما يقوم بسرقته شئ تافه للغاية ولا يساوى شيئا ... تلك هي حالة السرقة المرضية *Kleptomania* ..

والمثال علي هذه الحالة الغريبة السيدة المليونيرة التي تدخل احد المحلات الراقية فتسرق منديلاً رخيص الثمن رغم أنها تملك من النقود ما تستطيع ان تشترى به كل محتويات المحل !

وفي حالة السرقة المرضية لا يستطيع المريض مقاومة إغراء السرقة وغالبية من يقوم بذلك هم من السيدات . ويكون السبب وراء هذه الحالة الغريبة عقد نفسية في صورة معاناة عاطفية وضغوط لم يتم التنفيس مخطط لها سلفا . ولا يشترك فيها غير من يقوم بها ويكون الهدف فيها هو السرقة في حد ذاتها وليس

قيمة الشئ الذى يتم الاستيلاء عليه ، وقد يعقب ذلك بعض تأنيب الضمير والقلق . ويتم علاج هذه الحالة علي أنها احد الأمراض النفسية .

حلول نفسية لمواجهة المشكلة :

يتطلب الامر وضع حل لانتشار جرائم السرقة لمنع اثارها السلبية حيث يؤدى الي افتقاد الشعور بالأمن نتيجة للقلق المرتبط باحتمال فقد الممتلكات .

الحل من وجهة نظر الطب النفسي في التعامل مع ظاهرة السرقة هو الاهتمام بالوقاية قبل العقاب ، ويتم ذلك بإعلاء قيم الأمانة وغرس ذلك في نفوس الاجيال الجديدة ، كما أن خلق النموذج الجيد والقدوة الحسنة له أهمية في دعم الصفات الايجابية في نفوس الصغار ، ويقابل ذلك التقليل من شأن الذين يقومون بارتكاب المخالفات حتي لا يرتبط السلوك المنحرف في أذهان النشئ بالبطولة والمغامرة مما قد يغريهم علي التقليد .

ويجب ان يتم احتواء الذين يقدمون لأول مرة تحت تأثير اعراء شئ ما علي سلوك السرقة ، ويتم ذلك بمحاولة تصحيح المفاهيم لديهم بالطرق التربوية حتي لا يتحولوا الي محترفين للسرقة فيما بعد ، وتفيد سياسة " الجزرة والعصا " ومعناه المكافأة علي السلوك السوى ، والعقاب الحازم عند الخروج علي القانون ، ومن شأن توقع العقاب ان يحد من الانحرافات غير السوية نحو الانحراف ... ويبقي بعد ذلك اهمية الوازع الديني والأخلاقي في ضبط السلوك ..وحل مشكلات الانسان صفة عامة . حيث أن الإيمان القوي بالله نعي يتضمن الوقاية والعلاج من الإنحرافات السلوكية ومشكلات العصر .

جنون الكرة..

و ظاهرة "التراس"

قبل أن نتحدث عن الجوانب النفسية المرتبطة بكرة القدم يجب أن نعلم ان هذه اللعبة الشعبية الأولي في الكرة الأرضية والتي تحظي باهتمام واسع كانت ولا تزال محل بحث من جانب علماء النفس والأجتماع لمعرفة أسرار تأثيرها الساحر على هذه القطاعات العريضة من الناس من مختلف المجتمعات الفقيرة والغنية على حد سواء مما جعلها ليست مجرد لعبة يتم ممارستها في الملاعب كنوع من الرياضة البدنية ولكنها تتعدي ذلك الى أفاق أخري أكبر نناقش بعضها من الجوانب النفسية والاجتماعية لكرة القدم.. حيث ينظر علماء النفس الى كرة القدم التي يعود تاريخها الي العصر الفيكتوري حينما تم وضع قواعد هذه اللعبة في انجلترا قبل أن تنتشر الي أمريكا وايرلندا وأستراليا .لكن تاريخ كرة القدم يعود لأبعد من ذلك بكثير فالكرة غالبا ما نرتبط بتاريخ الشعوب القديمة في شرق الأرض وغربها فربما كان الفراعنة في مصر القديمة هم أول من مارسها كما يذكر هيرودوت أو ربما بدأت في الصين القديمة أو لدي الأغريق أو الرومان ثم أخذت في الأنتشار عبر العصور.

والسر في هذا الأنتشار الواسع للعبة كرة القدم دون غيرها من الألعاب أنها رياضة سهلة.. قواعدها مفهومة.. ولا تحتاج الى أدوات معقدة لممارستها أو ملابس خاصة.. كما أنه يمكن ممارستها في أي مكان متسع أو ساحة أو شارع كما أن مبارياتها تتم في جو احتفالي يبعث على البهجة وهي لون من الترويح وتفريغ

الانفعالات بصورة مشروعة رغم أن بعض علماء النفس يري أن الشعبية التي تتمتع بها كرة القدم سببها أنها احدي صور الحرب والصراع التي كانت تمارس بصورة غريزية في المجتمعات البشرية منذ القدم، وما يحدث في مباريات الكرة هو أمتداد للحروب والكفاح الذي كانت تمارسه الجماعات الأنسانية في العصور القديمة في صورة مواجهات مستمرة هي جزء من التاريخ الأنساني.

حقائق وأرقام:

هناك بعض الحقائق والأرقام التي دفعت الى أعتبار كرة القدم الرياضة الشعبية الأولي في العالم نذكر منها ما يلي:-

- أكبر عدد من اللاعبين على مستوي العالم في أي لعبة هم الذين يمارسون كرة القدم ويبلغ عددهم ما يقرب من ٢٥٠ مليون لاعب
- كرة القدم يتم ممارستها في عدد كبير من الدول الغنية والفقيرة على حد سواء ويبلغ عددها ٢٠٤ دولة منضمة الى الأتحاد العالمي لكرة القدم
- في العالم ما يقرب من ٣٠٥ الاف ناد وما يقرب من مليون وخمسة وخمسين الف فريق لكرة القدم
- حجم الأنفاق على كرة القدم يصل ما يقرب ٢٥٠ مليار دولار كل عام ويشمل ذلك اذاعة المباريات في المحطات الرياضية وأدوات وملابس اللاعبين وتكلفة بناء الملاعب ومرتبات اللاعبين والمدربين والحكام
- هناك ما يقرب من ٢ مليار مشجع لكرة القدم على مستوي العالم مما جعل كرة القدم هي لعبة القرن العشرين والقرن الحالي أيضا

- ينظر الى كرة القدم على انها نوع من الأبداع باستخدام القم باستخدام القدم مقارنة بالأبداع في الاعمال اليدوية الذي يتميز به النشاط الأنساني المتنوع
- الأهداف في كرة القدم ليست كثيرة مثل كرة السلة أو اليد مثلا وهذا يزيد من انفعال بها ويكون مصحوبا بالسلوك الأنفعالي الجماعي الذي يتم فيه التعبير الحر للمشاهدين حتي لو صحب ذلك بعض الخروج على النظام والأنضباط
- يتم من خلال كرة القدم تقريب وجهات النظر بين الشعوب والتغلب على الخلافات التي تنشأ من الحرب أو السياسة. كما أنها وسيلة تربوية وتعليمية للعمل الأنساني والجماعي كمايؤكد ذلك بعض الفلاسفة مثل البير كامي الكاتب الفرنسي المعروف

الاستعداد للمشاهدة:

من وجهة النظر النفسية فإن مشاهدة المباريات ومتابعتها والاستمتاع بذلك فن لا يجيده الكثيرون منا، ونقول أنها مناسبة جيدة لتحقيق ترويح دي فائدة كبيرة من الناحية النفسية فنحن على موعد لننسى همومنا مع هذه المباريات ولنخرج من قلقنا المعتاد واهتماماتنا التقليدية لنعيش أجواء المنافسة والاستماع.. وقد تتساءل عزيزي القارئ.. وهل مشاهدة المباريات فن يحتاج إلى مهارة؟!

أقول لك . نعم .. لكي تتحقق الفائدة النفسية القصوى من المشاهدة عليك أن تستعد وتهيئ نفسك للمشاهدة ..

وهنا في هذا الموضوع نسجل بعضاً من الملاحظات النفسية، ورؤية للمنظور النفسي في مسالة كرة القدم، وقبل أن تتساءل عن العلاقة بين كرة القدم والصحة النفسية نذكر بعض الحقائق:

- من وجهة النظر النفسية فإن مشاهدة المباريات ومتابعتها والاستمتاع بذلك فن لا يجيده الكثيرون منا، ونقول إنها مناسبة جيدة لتحقيق ترويح ذي فائدة كبيرة من الناحية النفسية فنحن على موعد لننسى همومنا مع هذه المباريات ولنخرج من قلقنا المعتاد واهتماماتنا التقليدية لنعيش أجواء المنافسة والاستماع بها.
- لكي تتحقق الفائدة النفسية القصوى من المشاهدة علينا أن نستعد ونهيئ أنفسنا بصورة ملائمة للمشاهدة .. وقبل المباراة نجمع معلومات عن الفريقين وأسماء اللاعبين .. ونتحمس لأحد الفريقين ونحاول أن نستمر في تشجيعه بحرارة.
- أثناء المشاهدة لا تسمح لنفسك بالسرحان أو التشتيت وركز انتباهك جيداً في المباراة وستجد أنه قد تحقق لك بذلك مشاهدة مثمرة ومفيدة للصحة النفسية تساعد على التخلص من مشاعر التوتر والقلق، وفكرة ذلك تشبه اتباع بعض الوسائل والطرق البسيطة التي تقوم على شغل الذهن والانتباه في موضوعات مختلفة بعيداً عن مصادر الهموم والقلق.
- كما نعلم عن مباريات كرة القدم أنها مليئة بالإثارة والانفعالات التي ترتبط بكل حركة للكرة بين أقدام اللاعبين .. وتوقعات ترتفع معها حرارة الانفعال ليصل إلى الذروة وقت تسجيل الهدف .. التعبير عن الانفعال هنا

هام جداً للصحة النفسية، ويمكن أن تراقب انفعال لحظة تسجيل الهدف على اللاعبين والجمهور والمذيع، وعليك أن تبدي انفعالك أنت أيضا وتعبر عنه بحرية مطلقة كيفما تشاء فهذا مفيد من الناحية النفسية.

- لا مانع أيضاً من توجيه النقد والتعبير عن الرأي في كل ما نشاهده .. فالتعبير هنا تنفيس انفعالي ايجابي ووسيلة لإسقاط الانفعالات الداخلية على الحكم واللاعبين والمدربين، وهذا التعبير وسيلة لتأكيد الذات وحرية الانفعال، ويساعد ذلك في تعميم هذا الاتجاه في مواقف الحياة الأخرى حيث يمكن التخلص من الخجل والمخاوف الاجتماعية والانطواء والتعود على التفاعل مع الأحداث.

إنك باتباع هذه الخطوات تكون قد اتبعت الدليل الذي يقدمه لك طبيبك النفسي إلى مشاهدة مثمرة ومفيدة للصحة النفسية تساعد على التخلص من مشاعر التوتر والقلق..وقد قدمت في كتابي "كيف تتخلص من القلق" وسائل مبتكرة للتخلص الفوري من القلق والتوتر منها بعض الطرق البسيطة التي تقوم على شغل الذهن والانتباه في موضوعات مختلفة بعيداً عن مصادر الهموم والقلق.

جنون الإثارة .. والاستمتاع بالكرة:

الراحة والترويح عن النفس من الأشياء الهامة لكل منا حتى يجدد النشاط ويبعث في جسده ونفسه الطاقة والحيوية ليعود إلى مواصلة العمل .. وقد يفهم البعض منا الراحة على أنها الخلود إلى الهدوء والكسل، غير أن مفهوم آخر للراحة يجعلها قضاء الوقت بصورة أكثر إيجابية وفاعلية بعيداً عن أجواء المسئولية

والعمل ولكن في إثارة ونشاط بدني وذهني بناء .. فكما نعلم عن مباريات كرة القدم أنها مليئة بالإثارة والانفعالات التي ترتبط بكل حركة للكرة بين أقدام اللاعبين .. وتوقعات ترتفع معها حرارة الانفعال ليصل إلى الذروة وقت تسجيل الهدف .. التعبير عن الانفعال هنا هام جداً للصحة النفسية ...

راقب عزيزي القارئ انفعال لحظة تسجيل الهدف على اللاعبين والجمهور والمذيع وعليك أن تبدي انفعالك أنت أيضا وتعبر عنه بحرية مطلقة كيفما تشاء فهذا مفيد من الناحية النفسية.

ولا مانع أيضاً من توجيه النقد والتعبير عن الرأي في كل ما نشاهده فالتعبير هنا تنفيس انفعالي إيجابي ووسيلة لإسقاط الانفعالات الداخلية على الحكم واللاعبين والمدربين. وهذا التعبير وسيلة لتأكيد الذات وحرية الانفعال تساعد في تعميم ذلك في مواقف الحياة الأخرى حيث يمكن التخلص من الخجل والمخاوف الاجتماعية والانطواء والتعود على التفاعل مع الأحداث. فلتكن مشاهدة المباريات فرصة لتحقيق مثل هذه المكاسب على مستوى الصحة النفسية بجانب الاستمتاع أيضاً.

الانفعالات الجنونية خارج وداخل الملعب:

لا تتضمن الإثارة في مباريات الكرة اللعب فقط ولكن هناك مواقف انفعالية أخرى تحدث أثناء سير هذه المباراة يصل فيها الانفعال إلى ذروته لا علاقة لها بفنون اللعب .. فالحماس الزائد في الملعب وعدم قدرة بعض اللاعبين على ضبط النفس والسيطرة على اتجاهات العدوان بداخلهم تدفعهم لارتكاب بعض

المخالفات لقوانين اللعبة، أو الاحتكاك العنيف بزملائهم .. وهنا يشهر الحكم الكارت الأصفر للإنذار، أو الأحمر للطرد من الملعب، وقد خضعت هذه الانفعالات والسلوكيات لدراسات نفسية حين لوحظ أن بعض اللاعبين الموهوبين يعانون من انفلات الأعصاب الذي يتسبب في فقد جهودهم عندما يتعرضون دائماً للإنذار والطرد من الملعب .. وهناك برنامج يخضع له بعض اللاعبين المعروف عنهم عدم القدرة على التحكم في انفعالاتهم مما يجعلهم عرضة للحصول على الكروت الصفراء والحمراء يقوم على تنمية ضبط النفس والتدريب على التحكم في الانفعال وعدم التسرع في رد الفعل، وتفيد هذه البرامج في تحسين أداء اللاعبين المتميزين وإنقاذ هذه المواهب من التعرض للضياع بسبب العتاب المتكرر نتيجة لانفلات السلوك والاندفاع .. كما أن للطب النفسي دور هام في تهيئة اللاعبين نفسياً للمباريات الهامة دون ضغط على أعصابهم يؤثر على أدائهم ويفقدهم التركيز في الملعب.

والمشكلات التي تتعلق بالصحة النفسية وتتطلب تدخل الطب النفسي في مجال كرة القدم كثيرة ومتنوعة، ومن أمثلتها تدريب اللاعبين على التحكم في الانفعال وإعدادهم نفسياً قبل المباريات الهامة، والرعاية النفسية للرياضيين في مختلف مراحل الضغوط النفسية التي يتعرض لها اللاعبون والمدربون والحكام في الملعب، وهذه مهمة نفسية بالدرجة الأولى حيث يتطلب الأمر الإعداد المسبق للأوقات العصيبة عند اللقاءات الرياضية المثيرة، وكيفية مواجهة الجمهور، وتجنب التأثر سلبياً بوسائل الإعلام عند النقد، أو التأثر بمواجهة الأضواء التي تتركز على الرياضيين بصورة كبيرة، والتدريب على التصرف السليم عند المنافسة مع الخصوم وكذلك وقاية اللاعبين من الانحرافات التي تؤثر على مسيرتهم الرياضية.

جنون.. ظاهرة ألتراس(*Ultras*)

ألتراس (*Ultras*) كلمة لاتينية تعني الشيئ الفائق أو الزائد، وهي فئة من مشجعي الفرق الرياضية والمعروفة بانتمائها وولائها الشديد لفرقها وتتواجد بشكل أكبر بين محبي الرياضة في العالم -أول فرقة ألتراس تم تكوينها عام ١٩٤٠ بالبرازيل وعرفت باسم"*Torcida*" ، ثم انتقلت الظاهرة إلى أوروبا. وتميل هذه المجموعات إلى استخدام الألعاب النارية أو "الشماريخ" كما يطلق عليها ، وأيضا القيام بالغناء وترديد الهتافات الحماسية لدعم فرقهم. كما يقومون بتوجيه الرسائل إلى اللاعبين. وتقوم هذه المجموعات بعمل دخلات خاصة في المباريات الهامة، وكل ذلك يضفي بهجة وحماس على المباريات الرياضية وخاصة في كرة القدم.

المبادئ الأساسية الأربعة للألتراس:

- لا يتوقف الغناء أو التشجيع خلال المباراة، ومهما كانت النتيجة.
- يمنع الجلوس أثناء المباراة.
- حضور أكبر عدد ممكن من المباريات (الذهاب والإياب)، بغض النظر عن التكاليف أو المسافة.
- يظل الولاء قائم للمجموعة المكونة وعدم الانضمام لأخرى.

ويلاحظ في الألتراس عدم الجلوس على الإطلاق خلال عرض المباريات وإشهار الرايات والأعلام، ويظل يهتف ويغني طوال المباراة ، كما يلوم بعض مشجعي الكرة الألتراس لقيام بعضهم باعتداءات جسدية أو تخويف الذين ليسوا

من الألتراس.. وفي حين يستخدم الجمهور العادي مظلة خوفا من المطر فإن الألتراس ينزعون ملابسهم الخارجية عندما يهطل المطر!!

والجوانب النفسية في رياضة كرة القدم لها أهمية خاصة بعد أن أصبحت هذه اللعبة واسعة الانتشار وتزايد الاهتمام بها بين الصغار والكبار من مختلف الثقافات والبلدان .. وبعد أن أصبح العالم كله بفعل وسائل الاتصال قرية صغيرة يمكن لكل شخص في أي مكان متابعة ما يجري في أي من بلدان العالم فإن حدثاً مثل المونديال (مسابقة كأس العالم) يمكن أن يكون موضوع الساعة الذي يقرب المسافات بين الناس من مختلف الشعوب .. ويزيل الكثير من الحواجز فيما بينهم حين يجتمع الملايين في أنحاء مختلفة في نفس الوقت لمتابعة كل مباراة وهذا هو سحر الكرة التي توحد بين مشاعر الناس واهتمامهم بصورة لا يماثلها شيء آخر. فانطلاق مباريات الكرة في أجواء من الإثارة والاستمتاع فرصة للترويح عن النفس، وذلك بالخروج من اهتماماتك اليومية المعتادة، والتخلي عن مشاعر القلق والإحباط والتفكير في أزماتك المختلفة ومشاغلك المتعددة .. كل ما هو مطلوب الآن أن تقتطع من وقتنا لحظات للاستمتاع والمشاهدة .. والصحة النفسية، حتى نعود مرة أخرى إلى حياتنا المعتادة مع صفارة النهاية لآخر مباريات الكرة.